ما الانسان؟ نقّصته قليلاً عن الله

ما هي مكانة الكائن البشري في هذا الكون؟

كان العالم القديم يرى الكون كمكان من ثلاث طبقات: في الأعالي السماء مسكن الله وملائكته؛ في الأسافل، الشيول أو مثوى الأموات؛ وفي الوسط، الأرض المأهولة بالنباتات والحيوانات والبشر. في كون على هذه الشاكلة، من الطبيعى أن يكون للانسان أهمية خاصة. فهو، الموجود بين العالم الإلهي والعالم المخلوق، مدعو ليكون الوسيط بين الاثنين.

لكن العلم دحض اليوم هذه النظرة، ورأى أن الانسان ليس سوى كائن ضائع على كوكب صغير يدور حول أحد مليارات النجوم، في مجموعة فلكية متوسطة الحجم، في كون يكبر باستمرار. هذا ما يعيد الانسان الى مستوى متواضع جاعلاً من ادّعاءاته، بمكانته المحورية بين الموجودات، مجرّد ترّهات.

ولكن ها الانسان البيبلي يعيش الخبرة عينها. ليلاً أمام السماء الواسعة المليئة بالنجوم والكواكب، تخرس الكلمات على لسان كاتب المزمور ٨ فلا يجد سوى سؤالاً يطرحه خجولاً عارفًا صِغَره : "ما الانسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده؟" (آ ٥). أمام مدى الكون الخيالي شعره بأنه مسحوق، لكنه انسان! يعرف قدراته كما يعرف ضعفه، فلا يلبث أن يعلن ايمانه بمن جعل منه شبه الله "نقّصته عن الله قليلاً" (آ٦). هو الله خلقه ضعيفًا، صغيرًا وهو من رفعه الى مرتبة أدنى بقليل من الله. هو من جعله على الأرض، وأحد المخلوقات ساكنيها، وهو من سلّطه على كل ما فيها (آ٧)، جاعلاً منه ملكًا "يسود" فيحقق العدالة والسلام في المجتمع الأرضي. هو من حمّله مسؤولية العمل على أن تكون الأرض مكان حياة لكل الموجودات.

هل ذلك ممكن؟ طبعًا شرط أن يفهم الانسان أنه ليس المتسلّط بذاته من خلال علاقته بالله الذي اختاره، ومن خلال تعميقه لهذه العلاقة مع الخالق والمخلّص.

قبل دراستنا المفصّلة للمزمور يجدر بنا قراءته:

ترجمة دار المشرق والترجمة المشتركة	النص العبري
دار المشرق: ١لإمامِ الغنَِاء. على الجِتِّيَّة. مَزْمور. لِداود. المشتركة: لإمامِ المغَنِّين. نشيدُ القِطافِ. مزمورٌ لِداوُدَ	`dwI)d"l. rAmðz>mi tyTiªGIh;- l[;(x;Ceîn:m.l;

^ªd>Ah÷ hn"ïT. rv<ïa] #r<a'_h'-lk'B. ^m.viâ ryDIäa;-hm' WnynE©doa] hw"Ühy `~yIm")V'h;-l[;	دار المشرق: ٢أيّها الرّبُّ سَيِّدُنا ما أَعظَمَ اسْمَكَ في الأَرضِ كُلِّها! لأَعَظِّمَنَّ جَلالَكَ فَوقَ السَّمَوات. المشتركة: ٢أيُّها الرّبُّ سَيِّدُنا، ما أعظمَ اَسمَكَ في كُلِّ الأرضِ. تُغنِّي جلالَكَ في السَّماواتِ
tyBiîv.h;l ^yr<_r>Ac ![;m;îl. z[oï T'ñd>S;çyI é~yqin>yOw>) `~QE)n:t.miW ~yli’l.A[) yPiÛmi byE©Aa÷.	دار المشرق: ٣بِأَفْواهِ الأَطْفالِ والرُّضَّع، أَعدَدت لَكَ حِصنًا أَمامَ خُصومِكَ، لِتَقضِيَ على العَدُوَ والمنتَقِم. المشتركة: ٣أفواهُ الأطفالِ والرُّضَّعِ. تَعَزَّزْتَ في وجهِ خصومِكَ، وأخرستَ العَدوَ والمنتَقِمَ.
~ybiªk'Akw>÷ x;rEîy" ^yt,_[oB.c.a, yfeä[]m; ^ym,v'â `hT'n>n")AK rv<åa] ha,är>a,-yKi	دار المشرق: ٤ عِندَما أرى سَمَواتِكَ صُنعَ أَصابِعِكَ، والقَمَرَ والكَواكِبَ الَّتي ثبتَّها، المشتركة: ٤أرى السَّماواتِ صُنْعَ أصابِعِكَ، والقمرَ والنُّجومَ التي كوَّنْتَها،
`WNd<(q.p.ti yKiä ~d"ªa'÷-!b,W WNr<_K.z>ti-yKi(vAnða/-hm'	دار المشرق: ٥ ما الإِنْسانُ حَتَّى تَذكُرَه وٱبنُ آدَمَ حَتَّى تَفتَقِدَه؟ المشتركة: ٥فأقولُ: ما الإنسانُ حتى تذكُرَهُ؟ اَبنُ آدمَ حتى تَفتَقِدَهُ؟
`WhrE(J.[;T. rd"åh'w> dAbßk'w> ~yhi_l{a/me j[;M.â WhrEäS.x;T.w: bracu, ti parV avgge,louj :**Lxx**	دار المشرق: ٦ دونَ الإِلهِ حَطَطتَه قَليلاً بِ،المجدِ والكَرامةِ كلَّلتَه، المشتركة: ٦ولو كُنتَ نَقَّصْتَهُ عَنِ الملائِكةِ قليلاً، وبِالمجدِ والكرامةِ كَلَّلتَهُ.
`wyl'(g>r:-tx;t; (hT'v;ä lKo÷ ^yd<_y" yfeä[]m;B. Whleyvim.T;	دار المشرق: ٧ على صُنعِ يَدَيكَ وَلَّيتَه، كلُّ شَيءٍ تَحتَ قَدَميه جَعَلتَه، المشتركة: ٧سَلَّطْتَهُ على أعمالِ يدَيكَ، وجعلْتَ كُلَّ شيءٍ تحتَ قدَمَيهِ:
`yd"(f' tAmïh]B; ~g:©w>÷ ~L'_Ku ~ypiäl'a]w: hn<åco	دار المشرق: ٨ الغَنَمَ والبَقَرَ كلَها، حتَّى بَهائِمَ البَرِّيَّة، المشتركة: ٨الغنَمَ والبقَرَ جميعًا، وبَهائمَ البَرِّ أيضًا،

دار المشرق: ٩ وطَيرَ السَّماء، وسَمَكَ البَحْرِ ما يَجوبُ سُبُلَ البِحار. المشتركة: ٩وطيرَ السَّماءِ وسَمَكَ البحرِ وكُلَ ما يسيرُ في سُبُلِ المياهِ.	`~yMi(y: tAxïr>a' rbeª[o÷ ~Y"+h; ygEåd>W ~yIm;v'â rAPæci
دار المشرق: ١٠ أَيُّها الرَّبُّ سَيِّدُنا ما أَعظَمَ اْسمَكَ في الأَرضِ كُلِّها! المشتركة: ١٠أيُّها الرّبُّ سيِّدُنا، ما أعظمَ اَسمَكَ في كُلِّ الأرضِ!	`#r<a'(h'-lk'B. ^ªm.vi÷ ryDIîa;-hm'(WnynE+doa] hw"ïhy>

هذا المزمور هو نشيد، والأناشيد موجودة في كامل الكتاب المقدّس. بعد عبور البحر نقرأ نشيد مريم أخت موسى (خر ١٥)، ونسمع بعد النصر نشيد دبورة (قض ٥) ويبدأ لوقا إنجيله بنشيدين لزكريا الكاهن والعذراء مريم (لو ١). دون أن نغفل عن عشرات الأناشيد في سفر المزامير (١٩، ٢٩، ٣٣، ٦٧، ٩٢، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١١١، ١١٣– ١١٥، ١١٧، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠). ما يميّز النشيد هو أنه أسلوب يسعى إلى التسبيح المجاني بعيدًا عن أي طلب. هو نص محوره الله والآيات التي حققها. تأتي الأفعال في النشيد دائمًا في صيغة الحاضر، تعبّر عن عمل الله. المستمرّ. وللأناشيد تصميم واحد وواضح يقوم في أربع مراحل:

١– دعوة لتمجيد الله
٢– أسباب التمجيد
٣– توسيع
٤– خاتمة: تكرار المقدّمة، مباركة، أمنيات

لنا في المزمور ٨ كما في المزامير ١٩و٢٩و١٠٤ نشيد كوني، يسبّح فيه صاحب المزامير الله على خليقته. لكن هذا النشيد يتميّز في التناقض الذي يظهره بين مجد الله الأزلي وطبيعة الإنسان الفانية من جهة، وبين المجد الذي رفعه إليه الله من جهة ثانية. هنا يكمن جوهر ما يريد النبي إيصاله، وما يظهر جليًا في تركيبة النص التقابليّة.

تركيبة حول ثلاثيّة "ما hm'"

تعبّر اللازمة في البدء وفي الخاتمة عن فكرة المزمور الأساسيّة، وتأتي الفكرة المحورية في قمّة المزمور وهي هنا في الآية ٥، تعبّر عنها بوضوح ثلاثيّة "hm" التي تشكّل إطار المزمور دهشةً وتعجّبًا في البداية والخاتمة: "ما أعظم إسمك" (آ١،١٠)، وسؤالاً وجوديًا في المحور (آ ٥): "ما الانسان"؟

تسبيح في البداية وفي الخاتمة، وسؤال محوري كبير: ما الانسان حتى تذكره؟

يسبق هذا السؤال دهشة أمام عظمة الخلق (٣ب-٤)، وتليه دهشة أمام المسؤوليات الكبيرة التي يضطلع بها هذا الانسان الهش (آ٦-٩).

المزمور ٨ قراءة مقترحة

لإمامِ المغَنِّين. نشيدُ القِطافِ. مزمورٌ لِداوُدَ:

٢ أيُّها الرّبُّ سَيِّدُنا، ما أعظمَ اَسمَكَ في كُلِّ الأرضِ،
حيث يردّد جلالَكَ، الأرفع من السَّماواتِ، ٣ بأفواهُ الأطفالِ والرُّضَّعِ.

تَعَزَّزْتَ في وجهِ خصومِكَ وأخرستَ العَدوَ والمنتَقِمَ.
٤ أرى السَّماواتِ صُنْعَ أصابِعِكَ والقمرَ والنُّجومَ التي كوَّنْتَها،

٥ ما الإنسانُ حتى تذكُرَهُ؟
اَبنُ آدمَ حتى تَفتَقِدَهُ؟
٦ تنقصه عَنِ اللهِ قليلاً،
وتكَلِّلهُ بِالمجدِ والجلال
٧ وتسلّطه على أعمالِ يدَيكَ،
وجعلْتَ كُلَ شيءٍ تحتَ قدَمَيهِ: ٨ الغنَمَ والبقَرَ جميعًا، وبَهائمَ البَرِّ أيضًا، ٩ وطيرَ السَّماءِ وسَمَكَ البحرِ وكُلَ ما يسيرُ في سُبُلِ المياهِ.

١٠ أيُّها الرّبُّ سيِّدُنا، ما أعظمَ اَسمَكَ في كُلِّ الأرضِ!

شرح لبعض مفاتيح المزمور

عنوان المزمور (آ١) "لإمام المغنين"، هو عنوان مشترك لأكثر من خمسين مزمورًا (٤-٦؛٩؛ ١١-١٤؛ ١٨-٢٢ إلخ)، ولو لم نفهم المعنى الأكيد لعبارة ") ;[l-;tyTiªGIh" التي نقرأها أيضًا في المزمورين ٨١ و ٨٤. فهل المقصود آلة موسيقية اشتهرت بها مدينة جت الفلسطيّة؟ أو هو لحن فلسطيّ معروف؟ أو نشيد تقليدي للقطاف والمعصرة، على ما تدلّ كلمة "ج ت" (رج جتسماني: معصرة الزيت مت ٢٦:٣٦؛ لو ٢٢:٤٠؛ يو ١٨:١-٢)؟ المهم في الأمر أننا أمام نشيد مغنّى: نشيد ليتورجي.

يبدأ المزمور بالتوجّه إلى الله بإسميه الأكثر تداولاً: أيها الرب hw"Ühy ، سيدنا WnynE©doa] . الله بحسب الإسم الأول hw"Ühy هو الرب إله العلاقة، إله العهد، الإله الذي يعمل بالتواصل مع البشر، في حين يدل الإسم الثاني WnynE©doa] على الله السيّد، الملك، الباسط سلطته على كل شيء وعلى كل أحد. الله بحسب هذا الإسم هو العليّ المالك

منذ البدء يقف صاحب المزامير أمام الله البعيد-القريب. فهو adonénou السيد البعيد لأنه العلي الذي لا يُدرك ولا يمكن التكهّن بجوهره. إنه مالئ الزمان والمكان، من لا تُسبر طرقه؛ القدوس، المختلف العليّ، القدير. لكنه الإله الذي يأخذ المبادرة. إنه سيّد الأمم، الذي أراد القرب من الإنسان فكشف ذاته وأعطى كلماته: إنه hw"Ühy الرب الذي مدَّ يده، فأعطى ذاته في شريعته. إنه الإله الشخصي، قبل أن يكون الله السيّد: أيها الرب سيّدنا.

"**ما أعظم اسمك في كل الأرض**". أظهر الله العليّ عظمته عبر التاريخ من خلال مآثره الخلاصيّة. إسمه وشخصه لا مثيل لها، حتى موسى خليله وكليمه كان قد أعرب عن تعجّبه: "من مثلك بين الآلهة أيها الأزلي؟ من مثلك عظيم وقدوس، يليق به المديح، صانع العجائب؟" (خر ١٥:١١).

تتكرّر لازمة النشيد في الخاتمة، وفيها ذكرُ حماسي لله سيّد الأشياء كلّها، الذي منه كل الكائنات. يُمجَّد "في كل الأرض"، من خلال أعماله الظاهرة في كل مكان نعم، لكن بشكل خاص من خلال ترداد إسمه على لسان أصغر البشر. فيتردّد صدى إرادته في كل زوايا الأرض (رج مز ١٩؛ رو ١:١٨-٢٣). إنه "إلهنا" "ما أعظم اسمك".

"ما أعظم اسمك" بمعنى ما أعظمك. فالإسم هو الشخص بالذات: إنه تعبير عن أصل الانسان (تك ٢:٧، ٢٣)؛ وعن طريقة تصرّفه (١ صم ٢٥:٢٥)؛ ورسالته (قض ٦:١٢)، ومصيره (خر ٢:١٠). أن يكون

للإنسان سلطة إعطاء الإسم، تعني قدرته على الإيجاد (تك ٢:١٩)؛ ومن يعرف إسم الآخر له قدرة عليه (تك ٣٢:٢٨-٣٠؛ مر ١:٢٤)؛ ولا أحد يستطيع تغيير إسم الآخر إلا من له عليه سلطة أكيدة (٢ مل ٢٣:٣٤). وهذا ينطبق على الله، فلا يمكن للإنسان أن يعرف إسمه أو أن يدركه. فهو إسم سرّي لا يُسبر ولا يستقصى إسمه "hw"Ühy " هو ذاته، إنه الله بمجده وقدرته، من يلفظه يشارك بمجده وقدرته. هنا تبرز مشكلة آ ٣.

الإسم يمجّد ذاته على لسان أطفال ورضّع!

مشكلة آ ٢-٣. من الذي يُمجَّد وكيف؟

عظمة ٢:٨ب: "حيث أعطِ جلالك على السماوات" rv<ïa hn"iT. ^ªd>Ah÷ ^ l[;-V'h;)"~yIm`: الآية صعبة التفسير وكأن لا معنى لها، وأتت الترجمات على فهمها كالتالي:

دار المشرق: "لأعظّمنّ جلالك فوق السماوات" فربطتها بـ مز ١٩:١ حيث نقرأ "السماوات تنطق بمجد الله والجَلَد يخبر بعمل يديه، اليوم يفيض قولاً ليوم، والليل يعطي علمًا للّيل..." وبـ أشعيا ٦:٣ "الأرض كلّها امتلأت بمجده"...

وكأنّ المقصود هو التوقّف عند عظمة الله الظاهرة في خلقه، مما يؤدّي إلى معرفة طبيعيّة للخالق وعظمته، هو الذي أوجد الخلق كلّه، تمتدّ عظمته أبعد من الأرض (١ أخ ١٦:٢٧) "المجد والبهاء أمام وجهه، والقوة والفرح في مسكنه" يحوّر مز ٩٦:٦ ليحدّد "البهاء والعظمة أمام وجهه، والمجد والسيادة في هيكله"، ويضيف (١ أخ ٢٩:١١) "لك أيها الأزلي العظمة والقوة والكرامة والأزل والمجد، لأن كل ما في السماء وعلى الأرض لك أيها الملك، أيها الأزلي، لأنك تعلو فوق كل شيء.

وفي الترجمة المشتركة نقرأ :"تغنّي جلالك أفواه الأطفال والرضّع". وفي الحالتين، هو الانسان يمجّد الله في خلقه.

من الطبيعي أن يرى الإنسان عظمة الله أمام مليارات النجوم، وأمام امتداد الكون وتعقيداته. ولكن هل في الآية مجرّد اهتمام بجمال الخلق وروعته؟ هل يكتفي الكاتب بدهشة طبيعية انتابته لشعوره بعظمة ما يرى؟ وما معنى أعطِ جلالك على السماوات؟

في صيغة الأمر يبدو الفعل وكأن لا معنى له. كان ايرونيموس قد قرأ الآية على الشكل التالي: "أنت يا من وضعت (أعطيت) جلالك فوق السماوات"، وربما يكون هذا هو المعنى الذي أرادته السبعينية في ترجمتها "لأن جلالك رُفِع فوق السماوات".

أما تورناي Raymond Tournay (RB 1959, p.112) فرأى في جذر فعل ت ن هـ hn"iT. لفظة آرامية تعني التراداد والنقل بالتعليم، اشتقّت منها عبارة "التنايم" فربط آ٣ بآية ٢ بحيث جاء المعنى كالتالي:

"[2]أيُّها الرّبُّ سَيِّدُنا، ما أعظمَ اَسمَكَ في كُلِّ الأرضِ،

(إسمك) الذي يغنّي جلالَكَ، الأرفع من السَّماواتِ،[3]بأفواهُ الأطفالِ والرُّضَّعِ."

فصارت الآية بالتالي تمجيدًا لإسم الرب الذي على لسان الأولاد يعلِّم جلال الله ومجده في الأرض كلّها: "اسمك حيث تردِّد جلالك (الأرفع من السماوات)، بأفواه الأطفال والرضّع".

في جعل الترجمات من الآية ٣ وحدة مترابطة: "بأفواه الأطفال والرضّع أسّست لك عزّة"، فهمت المزمور انعكاسًا للتناقض الغريب بين عظمة الله، والوسائل الهشّة الضعيفة التي يستعملها في مواجهة معاديه. صار صوت طفل مصدر قوّة، وأصبح الرضيع قادرًا على زعزعة المضايقين. وصار المزمور بالتالي علامة تظهر قوة الله في أصغر خلقه.

لكن منطق النص يذهب في خط مغاير. فالآية ٣ ليست وحدة موحّدة بل ترتبط آ ٣أ بالآية ٢، تلتحق آ ٣ب بالآية ٤.

اسمك "يردد جلالك بأفواه الأطفال والرضع"، بمعنى أن عمل الأطفال يقتصر على ترداد اسم الرب، وليسوا هم من يزعزعون الجبابرة والأعداء. يبدو أن صاحب المزامير رأى في ترداد الأطفال لنشيد يعظّم إسم الرب، سرّا ينقله من مجرّد لفظ الاسم القدير على لسان أضعف المخلوقات، الى جوهر من أراد لهذا المخلوق الضعيف أن يكون شريكًا له. فالله هو من يمجّد ذته، هو من يعلّم عن جلاله في الأرض، ولكن على لسان أصغر البشر. على لسان الأطفال والرضّع صار اسم الله المرهوب، الأرفع من السماوات، تعليمًا عن مجده في كل الكون، كما سيتوضح أن الانسان أرفع من كل الخليقة بالرغم من صغره ومحدودية مكانه في هذا الكون.

هكذا تلعب الآيات ٢-٣ دور المقدّمة، فتهيّيء لأسباب التمجيد في آ٥، التي تسبقها آيات وصف عظمة الله في خلقه في آ ٤، ويتبعها وصف عظمة الله في اختياره في آآ ٦-٩ على الشكل التالي:

مقدمة (آآ ٢-٣)

عظمة الله في خلقه (آ٤)

أسباب التمجيد (آ٥)

عظمة الله في اختياره (آآ ٦-٩)

خاتمة (آ١٠)

عظمة الخليقة وعظمة الخالق وكرامة الإنسان على الخليقة (٨: ٤-٩)

تَعَزَّزْتَ في وجهِ خصومِكَ وأخرستَ العَدوَ والمنتَقِمَ.

٤أرى السَّماواتِ صُنْعَ أصابِعِكَ والقمرَ والنُّجومَ التي كوَّنْتَها،

منذ القِدم أدهشت الكواكب الانسان. اهتم بها علماء الفلك والأدباء والشعراء واللاهوتيون... وها صاحب المزامير مأخوذ بمنظر السماء ليلاً. كان الأقدمون يظنّون بأن الله أحكم تعزيزاته وأسواره في وجه معاديه والخصوم الكونيين، فجعل له من الجَلَد سورًا حصينًا لا يمكن لهم اختراقه (مز ٧٤: ١٢-١٥؛ ٧٧: ١٤-١٨؛ ٨٩: ١٠-١٣؛ أي ٧: ١٢؛ ٢٦: ١٢؛ أش ٥١: ٩-١٠). هو الخالق، وهو الأقوى يعرف كيف يتحصّن: انفصل عن كل ما ليس هو، وجعل من السماء فاصلاً لا محدودًا بينه وبين العالم المحسوس. هو الخالق، وهو الأقوى القادر أن يُخْرِس كل عدو وكل منتقم، مع أنه ترك اسمه يتمجّد بأفواه الأطفال والرضّع. من هنا الدهشة الكبرى التي لا تقف عند عظمة الله وجلاله اللامحدود، فما يدعو إلى الدهشة ليس قوّته وهو الخالق المخلّص، بل كيف أن هذا الإله العظيم القدير يهتمّ بالبشر الضعفاء، ويأخذ وجودهم بعين الاعتبار، ويجعل منهم شركاءه في الكرامة وفي السلطة.

كرامة الانسان على الخليقة (آ ٥-٩)

٥ما الإنسانُ حتى تذكُرَهُ؟

اَبنُ آدمَ حتى تَفتَقِدَهُ؟

٦تنقصه عَنِ اللهِ قليلاً،

وتكَلِّلهُ بِالمجدِ والكرامةِ

٧وتسلّطه على أعمالِ يدَيكَ،

وجعلْتَ كُلَ شيءٍ تحتَ قدَمَيهِ: ٨الغنَمَ والبقَرَ جميعًا، وبَهائمَ **البَرِّ** أيضًا، ٩وطيرَ **السَّماءِ** وسَمَكَ **البحرِ** وكُلَ ما يسيرُ في سُبُلِ المياهِ.

ما الإنسان؟ للدلالة على الإنسان، يختار الكاتب عبارات تعبّر عن الهشاشة والضعف والوجود الزائل، السائر نحو الموت"~d"ªa'÷-!b/ vAnða. كان أحد أصدقاء أيوب صديقه الذي لم يعرف أن يرشده قد قال له أن "الإِنسانُ دودة وابنُ آدَمَ يَرَقانة" (أي ٢٥:٦). وعبّر المزمور عن هذا الضعف بقوله "إِنَّما الإِنْسانُ شِبْهُ هَباء وأيّامُه كَظِلِ عابِر" (مز ١٤٤:٤)؛ وأكّد مزمور آخر "أيام سِنينا سَبْعونَ سَنَة وإِذا كنَا أَقوياءَ فثَمانون وجُلُّها عَناءٌ وشَقاء تَمُرُّ سَريعًا ونَحنُ نَطير" (مز ٩٠: ٧ي)... طالما اختبر الإنسان هشاشته وعدم قدرته، أمام المرض والموت خاصة.

أمام اللاموازاة بين عظمة الله وعظمة الكون خليقته من ناحية، وصغر الإنسان أمام الخالق والخليقة من ناحية أخرى، يطرح صاحب المزامير على نفسه السؤال: كيف يمكن أن يهتمّ الله بالإنسان؟ كيف يمكن أن يذكره؟ فهو لصغره لا يُذكر. وفعل "rk;z" العبري يحمل أكثر استعادة الماضي من الذاكرة، إنه موقف المهتمّ وكأن المقصود: من هو هذا الإنسان لكي تهتمّ به؟ هذا كان موقف أيوب "ما الإنسانُ حتَّى تَستَعظِمَه وتُميلَ إِلَيه قَلبَكَ" (أي ٧:١٧)

لكن بعد هشاشة الإنسان يأتي ذكر عمل الله له:

وتنقّصه قليلاً عن الله ~yhi_l{a

وتكلّله مجدًا وكرامة

هذا المخلوق الضعيف أراده خالقه على مثاله، "نقّصه قليلاً عن الله" (مز ٢:٥٨؛ ٦:٨٢؛ ٧:٨٩).

الإنسان أنقص قليلاً من الله؟ تأكيد غريب.

كان التكوين قد أكّد أن الإنسان صورة الله ومثاله، بالرغم من مظهر الضعف والهشاشة التي نراها، وبالرغم من ترابيته وميتوتته هو طين! لكنّه صورة الله ومثاله. هو مائت، ترابي لكن الله أعطاه دورًا مميّزًا، وحمّله صورته.

بالمسؤوليّة التي أناطها الله به، هو أنقص قليلاً من الله. سلّمه الله سيادة الأرض، وإكمال خلقها، فأعطاه بذلك دورًا مشابهًا لدوره الإلهي بالذات: إنه القادر على الإبداع، وعلى التمييز بين الخير والشر، وعلى الإنماء؛ واحترام حرية الآخر... إنه صورة الله ولذلك هو مكلّل بالمجد والكرامة، من بطن أمّه وحتى نهاية أيامه.

في تراجع السبعينية أمام جرأة صاحب المزامير وترجمتها "ملائكة" بدلاً من "الله"، لم تناقض خط المزمور من حيث دور الإنسان في الخليقة وحسب، بل لأنها تُدخِل وسطاء بين الله والبشر، في حين أن المزمور يمحي وجودهم تمامًا. فالقمر والكواكب والسماوات هم صنع الرب وليسوا آلهة بين الله والناس. وإن كان هناك من وسيط، فهو الانسان بالذات.

لا يجد النبي سببًا بشريًا لرفعة الانسان ومجده، فيطرح السؤال: لماذا اختار الله أحد أضعف الخلائق ليكون موضوع اهتمامه الأول، يجعل منه صورته ويضع فيه كلمته، وينقصه عنه قليلاً (آ٦).

ويأتي الجواب بأن الفاعل الأوحد والسبب الأوحد لهذه الرفعة هو الله نفسه: هو من رفع الانسان الى حدود الألوهية، وهو من منعه من تخطّي هذه الحدود، وليس الانسان من ارتفع حتى الله بقوته وجدارته، وفشل في الوصول اليها. فمع أن الكاتب الذي تأمّل في تك ١-٢ وبقيمة الإنسان، يمكن أن يكون في طرحه لنقص الإنسان عن الله، قد فكّر بتك ٣ وبخطيئة هذا الانسان التي تسبّبت بطرده من الجنّة لئلا يحصل على ثمرة شجرة

الحياة فيحيا الى الأبد، لكن الواضح في المزمور أن هذا "القليل"، الذي ينقص الانسان عن الله، يدلّ قبل كل شيء، ليس على ما ينقص الانسان، بل على كثرة الشبه بينه وبين الله، وعلى أن هذه الكثرة هي من صنع الرب. وهذا ما توضحه جيّدًا آ٦: "بالمجد والكرامة تكلّله".

المجد والكرامة هما من صفات الله، وهما أحيانًا من صفات البعض من ملوك شعبه. عامل الله الانسان كملك، كنائبه هو بالذات. خطيء الانسان؟ طبعًا . لكن هذه الخطيئة لم تُفشِل مشروع الله، ولم تمسّ مصير الانسان، بل بقي الانسان نائب الله على الأرض.

ولكن ما هي حدود مشابهة الانسان بالله؟ بماذا هو صورة الله؟ (آ ٧–٩)

ويجيب المزمور : بمسؤولياته المصيرية. الانسان هو سيّد الخليقة.

المزمور ٨ هو بالحقيقة، نشيد للرب الذي يشارك الإنسان كرامته الملكيّة. بعد أن يبرز الكاتب تعالي الله على السماوات وعزّه الذي يحميه من كل قوى الشر. وبعد إظهار دوره الخالق في العالم غير المدرك كما في عالم الإنسان، ينشد العلاقة المميّزة بين الله والبشر من خلال المواضيع المثلّثة: "تذكر (آ٥ أ)؛ تفتقد (آ ٥ ب)؛ تعظّم (آ٦ب–٩). عظّم الله الإنسان بشكل كبير جدَا، لكن الانسان يبقى دومًا تابعًا لله. فسلطته لا تنبع من طبيعته الهشّة والمائتة، بل هي عطية من الله. إن كان الإنسان كريم وعظيم، فذلك لأن الله الذي يهتمّ به، وأوكل إليه رسالة، هو عظيم. نجد هذه النظرة في نصوص كتابيّة أخرى (تك ١:١–٢، ٤أ؛ ٩:١–١٧) تعكس تيارًا صغيرًا ومتأخرًا في الكتاب المقدّس (حك ٩:٢–٣؛ ١٠:٢؛ سي ١٧:٢–٤).

هذا المزمور هو في الحقيقة تفسير شعري للفصلين الأولين من سفر التكوين، يتحوّل اندهاشًا أمام اختيار الله للانسان ليكون وكيل الخليقة ومديرها.

الانسان: السيّد المتسلّط ٨:٧–٩

تسلّطه على أعمال يديك. جعلت كلّ شيء تحت رجليه:

الغنم والمواشي جميعًا،
وبهائم البرّ أيضًا
وطير السماء
وسمك البحر، وكل ما يسير في سبل المياه

كان الملك قديمًا، يظن أنه يسيطر على أعدائه عندما يدوس راياتهم أو إسمهم (رج يش ٤٢:١٠؛ ١صم ٥١:١٧؛ ١ مل ١٧:٥؛ مز ٤٧ :٤؛ ١١٠ :١)، فكان الدوس بالأرجل يعني، رمزيًا، موت الأعداء. فكما يسود الله بشكل كوني على كل معاديه، كذلك يسود الإنسان كونيًا على كل الأحياء بما فيهم الحيوانات التي يمكن أن تتحوّل إلى أعداء. في آ ٨ عودة إلى المستويات الثلاثة التي يذكرها تكوين ١:٢٨-٣٠ (البر / السماء / البحر) إشارة إلى سيادة البشر الكونيّة تحت السماء: حيوانات الأرض، وطيور السماء، وأسماك البحر. لم تعد هذه الكرامة الملوكيّة لإنسان ما، كان كائنًا من كان، بل لكلّ البشر. الإنسان هو نائب الملك الخالق، يسود على خليقة الله.

وهكذا،يرسم المزمور مقابلة بين يهوه – الملك، الجالس فوق الخلائق الثابتة، وبين الإنسان – الملك الجالس وسط الخلائق العابرة. وفي حين يتعظّم الله فوق السماوات والكواكب التي صنعها، يتعظّم الإنسان وسط الأحياء صنيعة الله. بمعنى أن الله يحيا فوق الخلائق الكونيّة التي يسودها الانسان وقد أخضعها له الله. بين ملوكيّة الله، المالك وملوكيّة الإنسان التابع، فاصلٌ لا يمكن تعدّيه.

يرى الشاعر انقلابًا للوضع الطبيعي على ثلاث مستويات:

١- في آ ٢ نرى إسم الله يغنّي جلاله في الأرض بكل ما تحتويه، بلسان صغار الانسان، في هذه الأرض تمجّد الله باسمه الأرفع من السماوات، بشكل أفضل مما هو في السماوات. هنا يمكننا أن نرى في ترجمة "الوهيم" بعبارة "ملائكة (آ٦) تناقضًا في المعنى المطلوب (١كو ٦: ٣). صحيح أن التأكيد بأن الله أنقص الإنسان عن ذاته الإلهيّة قليلاً، شكّل إحراجًا كبيرًا للناسخين وللمترجمين معًا، لكنه موضوع يندرج في منطق الكتاب المقدس الذي يعتبر أن مخطط الله يتم على الأرض بواسطة الانسان أمير الخليقة.

والللازمة في هذا الإطار واضحة: إسم الله عظيم "في الأرض". ومهما كانت المشاكل التي تواجه المشروع الإلهي، فإن مجد الله يظهر على الأرض أكثر فأكثر.

٢- الأطفال الذين من خلالهم يتمجّد الله في الأرض كلّها، هم اللسان الذي به يستطيع إسم الله أن يعلِّم البشر مجد الله وعزّه في كل الأرض (آ٣). ظنّ البعض بأن الآية ذكر للضعفاء القادرين على هزيمة الأقوياء بقدرة الله وحدها، على مثال ما قام به داود مع جوليات. لكن النص لا يتطرّق إلى القوّة أو إلى النصر والهزيمة، بل يتمحور حول العلاقة بين الله والبشر. فالموضوع إذًا يتعلّق بمجد الله فقط. يُظهِر النص أن الأطفال كانوا يشاركون في الليتورجيا، فربما يكون صاحب المزامير قد تأثّر بأطفال يرتّلون اسم الرب (آ٢، ١٠) فتذكّر مرحلة من مراحل تاريخ الخلاص، فيها قلب الله الوضع الطبيعي، حيث الأقوى

يُسكت الضعيف، والكبير يقمع الصغير؛ لكن الأهم، أنه صُعقَ أمام صِغَر من سمح الله بأن يتلقّظوا باسمه منشدين مجده عاليًا في الأرض.

٣- الانسان، أضعف المخلوقات هو في الوقت عينه سيّد الكون، وكل ما يحويه بما فيه الوحوش البرية والبحرية. هنا يكمن جوهر المزمور: مجد الله هو الانسان.

أمام وسع السماء ورحابتها، وكثرة الكواكب والنجوم وعظمة هذا الكون وجماله، وجد صاحب المزامير نفسه صغيرًا، ضعيفًا، هشًّا، غير قادر ان يشمل المدى بنظرة واحدة. ولكن أمام اكتشافه ووعيه أنه محور كل هذا، لا لكرامته بل لأنها إرادة الله الخالق، وجد نفسه عاجزًا عن التعبير بما يملأ كيانه من امتنان: "يا رب، يا سيّدنا: ما أعظم اسمك في كل الأرض" (آ٢، ١٠).

نحن إذًا لسنا أمام مزمور رومنطيقي، ولا أمام اكتشاف طبيعي للإله الكلي القدرة، فصاحب المزامير لا يتغنى بإله الطبيعة، بل بإله الخلاص، الذي اختار الانسان. لا يقول "اسمك عظيم لأنك خلقت النجوم والقمر"، بل "ما أعظم اسمك لأنك، أنت يا من خلقت النجوم والقمر... اخترت الانسان". يتكلم النبي انطلاقًا من الاختيار الإلهي له. هو لا ينطلق من شعوره بالاحباط أمام عظمة الكون، بل من شعوره بالدهشة أمام قناعته بأن مكانه في هذا المدى الواسع لا يُذكَر، لكنه مكان لا محدود في مشروع الله، وأمام معرفته بأن رحمة الله تضع الانسان في طليعة اهتمامات الخالق المخلّص، حتى جعله أهم من السماوات، بالرغم من أنه أسسها عزًا له وموطئًا لقدمه.

المزمور نشيد انسان مأخوذ باكتشافه إنه هو الضائع، الذي لا مكان له في هذا الكون، له مكانته التي لا مثيل لها عند الله، الذي يذكره ويفتقده ويهتم به، هو شخصيًا.

ولكن ما هو السرّ المخبوء في الانسان، والذي جعل منه ما هو عليه من عَظَمة؟ ماذا وجدت فيه أيها الرب لتختاره هو من بين كل المخلوقات العظام؟

ويأتي الجواب في اللازمة التي تفتتح المزمور وتختتمه: إنه "اسمك"، "ذاتك"، إنه أنت "أنت بتواصلك مع الانسان". أنت وحدك سبب اختياره وتمجيده: أنت سرّ الانسان. أنت جعلت من الانسان مشروعك، سرّك، وموضوع انتظارك الدائم، ودون أي سبب إلا لأنك أحببته.

ما من سبب منطقي لاختيار الانسان سوى محبة الله له الذي رفعه الى مستواه بالذات: مستوى الله.

ولذلك، لا شيء يمكنه أن يسود عليه بل هو يسود على كل شيء (آ٧-٩).

في وقت لا يجب أن نغفل فيه أننا في بدايات عصر الحديد، حيث كان الانسان يؤلّه كل شيء: السماوات والكواكب التي كانت تخيف معاصري الكاتب، يأتي هذا المزمور ليكرر قناعة تك ١-٢ بسيادة الانسان على الكون، بناء على إرادة الرب.

أمام ترنيم أطفال هم الأضعف بين البشر، عاد الكاتب ليتأمّل عَظَمة سرّ الخلاص الذي يحققه الله في التاريخ من خلال الانسان أضعف مخلوقاته. من خلال تأمله فهم هذا النبي أن الله اختار الانسان ليُظهِر من خلال ضعفه وهشاشته كل قدرته الإلهيّة وقوته وعظمته وغناه.

صدى مز ٨ في العهد الجديد

شكّل هذا المزمور، في الكنيسة الأولى، قسمًا من الكتابات المسيحانيّة، خاصة في آ٥ حيث الكلام عن ابن الإنسان المكلّل بالمجد والكرامة.

استعاد مت ١٦:٢١ الآية ٣ في كلامه عن دخول يسوع الملوكي إلى أورشليم، وعن هتافات الجموع له بمن فيهم الأطفال (مت ١٥:٢١). أمام انتقادات عظماء الكهنة والكتبة، يورد يسوع مز ٣:٨ بحسب السبعينية.

واستعادت الرسالة إلى العبرانيين ٦:٢-٨ المزمور ٨:٥-٧، في الكلام عن العالم الآتي والسيادة عليه ليس من قِبَل الملائكة بل من قبل يسوع المسيح، فالإنسان الذي يستحقّ مجدًا وكرامة ليس أي إنسان، بل يسوع المسيح. ثم في إرادة كاتب هذه الرسالة إظهار سيادة المسيح بقيامته وصعوده على كل ما هو موجود. استعمل النص عب ٩:٢ فترجم إلوهيم ب "ملائكة" بدلاً من "الله"، وطبّقه على يسوع في حياته الأرضيّة "ولكِنَّ ذاكَ الَّذي حُطَّ قَليلاً دونَ المَلائِكَة، أَعْني يسوع، نُشاهِدُه مُكلَلاً بِالمَجْدِ والكَرامةِ لأَنَّه عانى الموت" (عب ٩:٢)، فأضاف معنى جديدًا على المزمور يتمثّل بدعوة الإنسانية إلى الكمال من خلال تمثّالها بيسوع المسيح.

ما الإنسان حتى تذكره؟ ويأتي جواب الرسالة إلى العبرانيين: الإنسان هو سيّد كل شيء، لكنّه يأخذ قيمته الحقيقيّة في عمل يسوع المسيح الخلاصي. الإنسان موعود بأن يسود مع يسوع المسيح إلى الأبد (رؤ ١٠:٥). بتجسّده، صار يسوع المسيح شبيهًا بالبشر "حَطَطتَه قَليلاً دونَ المَلائِكَة وَكَلَّلْتَه بِالمَجْدِ والكَرامَة " (عب ٧:٢). ويذكر القديس بولس الآية ٧ من المزمور في إطار مشابه في ١ كور ٢٧:١٥ "أَخضَعَ كُلَّ شَيءٍ تَحتَ قَدَمَيه " وأف ٢٢:١ "وجَعَلَ كُلَّ شَيءٍ تَحتَ قَدَمَيْه".

مز ٨ قراءة معاصرة

يذكر الكاتب الملهم خوف الإنسان المثلّث:

- **ما الإنسان حتى تهتمّ به تفتقده (في الحياة)؟**

خوف الإنسان من أن لا يُعرف، ولا يقدّر حق قدره، ويُهمل، فيبقى على عطشه للسعادة والنمو. الإنسان بحاجة إلى وجود حق، بحاجة إلى من يهتمّ به. وها النبي يعلن أن "الإنسان هو شخص يهتمّ به الله دون شرط".

- **ما الإنسان حتى تذكره (بعد هذه الحياه)؟**

وفيه خوف الإنسان من الفناء. خوف من ان لا يُذكر بعد مروره على هذه الأرض. ترك العظماء إسمًا تذكره البشريّة حتى اليوم، في حين لم يترك الآخرون ذكرًا فمرّوا وكأنهم لم يوجدوا. في جميعنا خوف من الفناء. كان الأقدمون وما زال الناس اليوم يطمئنون للبقاء في خليفتهم "من خلّف ما مات"، وفي إسمهم يعطونه لأولادهم والأحفاد؛ وبعضهم يعملون للبقاء في أعمالهم على ما صرّح به Ohran Pamuk الحاصل على جائزة نوبل للأدب سنة ٢٠٠٦ الذي قال "أكتب خوفًا من أن أُنسى". نترك كتابه على القبر... لكن الحجر أيضًا يتحوّل غبارًا... فما العمل؟

ويأتي جواب النبي: الله يذكر الإنسان دومًا ودون شرط.

- **تنقّصه قليلاً عن الله**

خوف الإنسان من مقدّراته: ما العمل؟

قدرات الإنسان هائلة، وكأنه نصف إله، كل شيء تحت قدميه فماذا يفعل بكلّ هذه القدرات؟

لو كان بإمكان هذا النبي أن يرى إلى أي حدّ تكاثرت هذه القدرات سنة ٢٠٠٩ لتملّكه الدوار... إنه أنقص قليلاً من إله ، فهل سيتصرّف خيرًا أم شرًا، هل سيتصرّف بذكاء وحكمة أم بجنون؟

ويتردّد صدى كلمات القديس بولس "الخير الذي لا أريده أفعله والشر الذي لا أريده إياه أفعل"... لكن صاحب المزامير إنسان مؤمن يثق بالرب إله العهد، الذي لم يترك الإنسان دون دليل، بل أعطاه الشريعة دليلاً يرشد أعماله.

من رؤيته وتأمّله بالكون الواسع المنظّم والمحكوم من قبل الله، يطمئن الكاتب الملهم: عندما أتأمّل السماوات والقمر والنجوم صنع يديك... أعلم بأني جزء من هذه العظمة التي تشهد لعمل الله... فأطمئن.

فلمّ الخوف إذًا والله الخالق يهتمّ بي ويذكرني مهما حصل؟

ولكن في غمرة الأسئلة العلميّة التي لا تجد أجوبة، نشعر وكأن العالم يقف من جديد أمام خوف كبير. نحن في عالم لا يعرف كيف خُلق الكون؟ يشك في كونه نتيجة خلق من عدم، أم نتيجة تطوّر بطيء.

فهل انهارت الصورة العظيمة التي شيّدها صاحب المزامير؟

لا إن الكون هو نتيجة الإثنين معًا. فالله ليس وراءنا وحسب، بل إنه أمامنا أيضًا، هو من خلقنا، وهو من يجذبنا إليه. فما الخلق سوى انجذاب بطيء نحو الله الخالق، إنه تطوّر إليه.
يجذب الطبيعة الجامدة إلى الحياة، والحياة إلى الوعي والوعي إلى الأحاسيس، والحريّة والمحبّة والرجاء والإيمان... فممّن نخاف؟ لكل منا مكانته في هذا الخلق، يهتم به الله ويذكره، ويجعله أنقص قليلاً من إله، معطيًا إياه القدرة على الاهتمام بغيره.
في المزمور برنامج حياة بسيط من نقطتين:

- إطمئن يا إنسان أنت في فكر الله دومًا فلا تخف
- وانتبه يا إنسان أنتَ أنقص قليلاً من الله فاعمل أن تحب كما أحبّك الله.

هل المزمور ٨ هو إعلان أن الخليقة كلها حول الانسانّ لا! بل هو تأكيد بأن الخليقة كلها هي في عهدة الانسان. إنه الملك والسيّد المتسلّط لأن الله اختاره لهذه المسؤولية. هذا الاختيار أعطى الانسان، وهو أصغر المخلوقات، مكانًا لا محدودًا. وخارج اختيار المحبة هذا، لا معنى للانسان.
ليس الانسان سوى عنصر من أضعف عناصر الخليقة، لكنه عنصر محبوب، أُعطي القدرة الكاملة ليحب كما الله.